

آليات توظيف المصطلح الصوفي في البحث الجامعي

Mechanisms for employing the Sufi term in university research

سعيد بكير* (1)

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف،(الجزائر)

البريد الإلكتروني: Saidbakir2@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/07

تاريخ القبول: 2024/12/21

تاريخ الإرسال: 2024/11/06

الملخص:

تقوم البحوث الأكاديمية الجامعية في مختلف الأطوار على فهم مصطلحاتها، بالإضافة إلى حسن اختيار العنوان والمنهج ومناسبة الإشكالية، ومن التخصصات المستعصية التي تتطلب ضبط المصطلح والتحكم فيه: الأدب الصوفي، وهو بحث يتميز بالغموض وغرابة اللغة، ما يستوجب بذل جهد كبير لفتح مغاليقه والولوج إلى عالمه الروحاني، ولعلّ العودة إلى المعاجم المتخصصة والمصادر المفسرة الأولى، من السبل المهمة التي يسترشد بها القارئ للخوض في هذا العلم.

الكلمات المفتاحية: المصطلح ، الصوفي، المعجم المتخصص، الباطن، الغموض.

Abstract :

University academic research in various stages is based on understanding its terminology, in addition to choosing the appropriate title, method, and suitability of the problem. Among the difficult specializations that require controlling and controlling the terminology is Sufi literature, which is research characterized by ambiguity and the strangeness of the language, which requires making a great effort to unlock its secrets and enter its world. Perhaps returning to specialized dictionaries and early interpretive sources is one of the important ways by which the reader can be guided in delving into this science.

Keywords: Term, Sufi, specialized dictionary, Subconscious, Ambiguity.

مقدمة:

ترتكز عملية البحث العلمي الجامعي على أعمدة كثيرة تقوم أساسه، وتقيم بنيانه، ويستند في ذلك على عاملين:

- الجانب المعرفي العلمي.
- الجانب المنهجي.

فلا يكتمل البحث إلا إذا كان صاحبه على دراية كاملة بموضوع ومصطلحات بحثه وأعد له رصيده المطلوب من المصادر والمعجمات التي تعين على الوصول إلى الأهداف المسطرة.

لذلك، فالعودة إلى المعاجم المتخصصة من المتطلبات الأساسية الأولى للبحث في كل علم، قصد معرفة معاني المصطلحات وتوظيفها على الوجه الصحيح؛ وقصد تفادي خلط المفاهيم، فالمفاهيم معالم وجهها أصبح من أكبر المشاكل التي تعترض سبيل الباحثين، وخاصة المبتدئين منهم.

وانطلاقاً من هذا النقص المسجل في البحوث الجامعية، جاء عنوان بحثي على الشكل الآتي:

"آليات توظيف المصطلح الصوفي في البحث الجامعي"، وحاولت من خلاله الإجابة عن الإشكالية الآتية؟

- من أين يستقي الباحث الجامعي مصطلحاته الصوفية؟
- وماهي محاذير التوظيف؟

وقصد الإلمام بجوانب الموضوع، والإجابة عن الإشكال تمّ وضع الخطة الآتية للبحث.

- مقدمة.
- أهمية المصطلح الصوفي.
- بليوغرافيا مقترحة للبحث الصوفي.
- خصوصيات المصطلح الصوفي وآليات توظيفه.
- خاتمة.

ولقد تبنيت في هذا البحث، المنهج الوصفي في ضبط المفاهيم الصوفية بالعودة إلى المعاجم المتخصصة، واستعنت بالمنهج التاريخي في مواطن أخرى للتأصيل للمصطلح الصوفي بحسب تعاقب الفترات الزمنية.

ويعتبر توجيه الطلاب إلى أهمية التعامل مع المصطلح الصوفي وحسن توظيفه الهدف الأول من البحث، بالإضافة إلى أهداف أخرى مثل:

- التمييز بين المعاجم المتخصصة والمصادر الأولى للتصوف.
- معرفة خصوصية المصطلح الصوفي قبل التوظيف.
- وجوب معرفة التغيرات الدلالية للمصطلح الصوفي الناتجة عن التطور.

أهمية المصطلح الصوفي:

يعاني الطلاب في الجامعة في أقسام اللغة والأدب العربي كثيرًا من توظيف المصطلحات في بحوثهم، نظرًا لكثرتها أو لوجود خلط وتضارب في المفاهيم المرتبطة بالمصطلح الواحد في بعض الأحيان، ولمعالجة هذا الإشكال ينصح بالتأصيل للمصطلح في أي فرع من فروع العلم.

إن قضية المصطلحات من المسائل المهمة، التي يجب الاهتمام بها حتى ندخل أي علم، لأنها معالم مساعدة على فهم التخصص، إذ "ليس من مسلك يتوصل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته، ومضامين قدره من يقين المعارف، وتحقيق الأقوال"¹.

والملاحظ لهذا القول يدرك أن حلّ مشكل المصطلح لا يبدأ منه، بل يبدأ من الوعي بأهميته أولاً للوصول في النهاية إلى معالجة الفقر في الجهاز المفاهيمي، خاصة في بعض التخصصات الدقيقة كالأدب الصوفي، الذي يحتاج إلى جدارٍ متين من المفاهيم والمصطلحات، فاللغة الصوفية لغة عصية فريدة، صعبة الفهم إلا على من تمرّس في عالمها الباطني، وفي هذا المقام سئل أبو العباس بن عطاء - من مشايخ الصوفية - "ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتققت ألفاظاً أغربتم بها على السامعين، وخرجتم عن

اللسان المعتاد، هل هذا إلّا طلبًا للتمويه أو ستر لعوار المذهب، فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلّا لغيرتنا عليه لعزته علينا، كيلا يشربها غير طائفتنا².

ونظرًا لعرّة هذا المصطلح على أصحابه ومريديه، ونظرًا لغموضه وعسر فهمه، يستحسن ضبط مفهومه في مضانّه الأولى وهي المعاجم المتخصصة، وهي "المعجمات التي يتناول الواحد منها فرعًا من فروع العلم، وهناك معجمات متخصصة لمصطلحات الطب والكيمياء والفيزياء وعلم النبات..."³، والمعجمات في المجال الصوفي كثيرة تتراوح ما بين المصادر المفسرة للعلم، والمعاجم الجامعة للمداخل المعجميّة، حيث ينبغي للطالب التمييز بين هذين المصدرين، كما ينبغي له أن يحذر من "أنّ هناك ألفاظ كثيرة اكتسبت معاني جديدة في هذه الفترات التاريخية من تاريخ العربية، فإنّ التقوى والإيمان والتوحيد والمسلم والكافر والملحد، والفاسق والمصدق، من الألفاظ التي تطورت في لغة القرآن، فصارت تطلق على معانٍ غير المعاني التي كانت معروفة بها"⁴.

فالباحث في المجال الصوفي، وفي تعامله مع المصطلحات ينبغي له أن يؤسس لمفهوماته كما أنّه مطالب أيضًا بمسايرة التطور والتغيّر الدلالي للألفاظ، لأنّ استعمال المصطلح يخضع لمقاييس، وهي أن تكون المناسبة بين المدلولين: اللغوي والاصطلاحي، وعلى أساس هذه التحولات، والحرص على دقة ضبط المفاهيم من خلال المصطلحات، يمكننا القول: إنّ المصطلحات مفاتيح العلوم.

ببليوغرافيا مقترحة للبحث الصوفي:

يختص الصوفيون بمصطلحات نابعة من عمق التجربة، وهي مصطلحات تفتح للقارئ العادي قراءات متعددة، ونظرًا لبعدها الرمزي الدقيق، يمكن للطالب الباحث في مجال التصوف أن يستعين بهذه العناوين التي ستذكر، مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين هذين المصدرين:

أولاً: المصادر المفسرة للعلم:

ومنها:

- اللّمع لأبي نصر الطوسي (ت 378هـ).

- التعرف لمذهب أهل التصوّف للكلاباذي (ت380هـ).
- الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري (ت437هـ).
- منازل السائرين إلى رب العالمين للهدوي (ت481هـ).
- كتاب المواقف وكتاب المخاطبات للنّفري.
- رسائل الجنيد لأبي القاسم الجنيد.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي.

ثانيًا: المعاجم المتخصصة:

ومنها:

- الإمام محي الدين بن العربي:
- الفتوحات المكيّة.
- رموز الصوفيّة، تح: موفق فوزي الجبر.
- الكاشاني: اصطلاحات الصوفية.
- عبد القاهر بن عبد الله السهروردي: عوارف المعارف (ت563هـ).
- محمود عبد الرازق، المعجم الصوفي.
- سعاد الحكيم: المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة).
- عبد المنعم الحنفي: معجم المصطلحات الصوفية.
- لحسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية.

آليات توظيف المصطلح الصوفي:

تحتاج البحوث المتخصصة في الأدب الصوفي إلى ضبط المصطلح، لذلك يحتاج الباحث إلى فهم

الآتي:

- 1- مراعاة انتماء المصطلح، إن كان منتمياً إلى المصادر الأولى للعلم أو إلى المعاجم المتخصصة.

2- وعي وإدراك الباحث بأن المصطلح الصوفي رمز لدى أهله، وأنه غير متاح للعامة بل هو موجه إلى الخاصة، وإنما تم اللجوء إلى الرمز لأن اللغة في نظر الصوفية عاجزة عن احتواء كل ما يقذفه الذوق في القلب من معان وأسرار ودلالات، فكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة، فالعالم الخارجي محدود ومتصلب في الزمان والمكان، بالقياس إلى العالم الجواني⁵.

3- مراعاة الإطار الزمني للمصطلح؛ القدم والحداثة، حتى يتسنى للطالب التعامل مع الألفاظ، ومراعاة مبدأ التطور اللغوي لأن المصطلحات تتجدد معانيها في كل عصر.

4- مراعاة خصوصية المصطلح: بحيث تنتوع الخصوصيات ومنها:

- الخصوصية اللغوية.
- الخصوصية الدينية.
- الخصوصية الاجتماعية.
- الخصوصية الروحية.

الخصائص اللغوية:

تتميز المصطلحات في مجملها بمعانٍ لغوية عامة، وهي ما يسمى بالاصطلاح الأول؛ وتثبت في المعاجم عن طريق المداخل، وهي عكس المعاني الاصطلاحية المتفق عليها من قبل أهل التخصص، وتسمى بالوضع الثاني.

ومن هذه المعاني مثلاً: كلمة (الجهد) من المجاهدة:

يقول ابن منظور: "جهد: الجُهد: الطاقة، وقيل: الجهد: المشقة... والجهد، الشيء القليل يعيش به المقل على جهد العيش"⁶.

ولدينا كذلك مصطلح (الكشف) وهو "في اللفظ: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً"⁷.

الخصائص الدينية:

لقد استقى الصوفيون مصطلحاتهم بالدرجة الأولى من الجانب الديني، الذي يخصّ العبادة، فأصل التصوف ومنطلقه الأول هو الدين والانفراد لعبادة الله وحده، لأنّ المتصوف يسعى إلى الصفاء والطهر، والحياة الروحية المركزة على الباطن وترك زخرف الدنيا وهوى النفس، ومن هذه المصطلحات:

- **التوبة:** وفي هذا المصطلح اختلاف المعنى الباطني عن المعنى الظاهري، يقول الجنيد: "التوبة هي الرجوع عمّا تأمرك به نفسك والطبع والهوى"⁸، فالتوبة رجوع ولكن ليس رجوعاً ظاهرياً، بل هي رجوع باطني.

وهي في الشرع: "بمنزلة الصابون فكما أنّ الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة، فكذا التوبة تزيل الأوساخ الباطنة للعبد إذا رجع عن السيئة، وأصلح عمله، أصلح الله شأنه، وأعاد عليه نعمته الفائتة"⁹. فالتوبة هي ترك الذنب لقبحه والعزم على عدم الرجوع إليه ثانية.

- **الصفاء:** وهو مصطلح صوفي، ويمثل أصلاً من الأصول وهو التخلص من الشوائب؛ والمعنى الظاهري له يقترب من الصوف أمّا المعنى الباطني فينسب إلى الجوهر ومن المصطلحات الدينية كذلك الإيمان، الاستقامة، الإخلاص، الإحسان.
- **الإخلاص:** وهو مصطلح صوفي يقابله النفاق وفيه قال أبو حيان التوحيدي: "وأما الإخلاص والنفاق فهما يلحقان بالخلق، ولكنهما يصدران عن عقيدة القلب وضمير النفس"¹⁰.

الخصائص الاجتماعية:

ينتمي إلى هذا الحقل مجموعة من المصطلحات الصوفية، تتميز بكونها تمتلك الخصوصية الاجتماعية، أي مستمدة من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد، ولكنها ليست موجهة للعمامة وإنما لأهل التجربة القادرين على الغوص في الذات وفهم أحوالها، ومنها: الخلوة، الصحو، الصمت، الأنس... الخ.

- أدب: "... أدب الفقير الصادق في فقره ثلاثة أشياء: لا يسأل إذا احتاج، ولا يرد إذا أعطي، ولا يحبس لوقت ثان إذا أخذ، والأدب يريدون به أدب الشريعة، ووقتاً أدب الخدمة، ووقتاً أدب الحق، فأدب الشريعة الوقوف عند مرسومها، وأدب الخدمة الفناء، ... وأدب الحق أن تعرف مالك وماله.. "11.
- الحضرة: مصطلح صوفي مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، الآية: 82]. وهو بذلك رمز للإرادة الإلهية.

الخصائص الروحية:

وهي المعاني الباطنية والروحية المتعلقة بالمصطلح الصوفي، ومن المصطلحات التي تحمل هذه الخصائص نجد: الذوق، الحال، السكينة، الفقر، المجاهدة... الخ.

- البصيرة: في الاصطلاح الصوفي هي قوة باطنة، هي قوة للقلب منورة بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها وهي القوة التي يسميها الحكماء القوة العاقلة النظرية¹².

وهي كذلك: "قوة للقلب منورة بنور القدس، منكشف حجابها بهداية الحق، ترى بها حقائق الأشياء"¹³.

- المجاهدة: في الاصطلاح الصوفي: "حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال"¹⁴.

الخاتمة:

بعد التعرض لموضوع: "آليات توظيف المصطلح الصوفي في البحث الجامعي" في هذا البحث، يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- المصطلحات مفاتيح العلوم، والعودة إليها ضمن معجماتها المتخصصة أمر ضروري حتى نطرق باب أي علم، وهي من السبل الأولى التي يتبعها الباحث في معرفة المفاهيم، وبالأخص المصطلح الصوفي.
- الأدب الصوفي أدب روحي باطني، واستعمال مصطلحاته تستدعي الحذر والاطلاع الواسع في الكتب التراثية للعلم (المصادر الأولى) والمعاجم.
- المصطلحات الصوفية كثيرة ومتعددة بتعدد أقطابها، لذلك من الضروري معرفة زمنها وعصرها قبل التعامل معها.
- يمتلك المصطلح الصوفي خصوصيات لا تمتلكها مصطلحات العلوم الأخرى، وهي خصوصيات تتجاوز المعنى اللغوي للمصطلح، ومعرفتها مستحبة قبل الخوض في البحث.
- يتحرك المصطلح الصوفي ضمن إطار زمني ومكاني معين لا بد من احترامه من قبل الباحث، ولا يمكن إخراجه من هذه الحدود فيفقد معناه.

الهوامش:

- ¹ المسدي عبد السلام ، قاموس اللسانيات ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 09.
- ² الحفني عبد المنعم ، معجم مصطلحات الصوفية، ط2 ، دار المسيرة ، بيروت، 1987 ، تقديم ضمن الواجهة.
- ³ حجازي محمود فهمي ، الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 40، 1977، ص 90.
- ⁴ ينظر: السامرائي إبراهيم ، التطور اللغوي التاريخي، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 50.
- ⁵ ينظر: رشيد عمران، خصائص الرمز الصوفي: ابن عربي أنموذجاً، مجلة حوليات جامعة قلمة للعلوم الإنسانية، العدد 24، الجزائر، 2018 ص 251.
- ⁶ ابن منظور، لسان العرب ، ج1، مادة: (ج ه د)، بيروت، لبنان، دار لسان العرب، دت، ص 520.

- ⁷ الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بيروت، لبنان، 1982، ص 237.
- ⁸ السلمي أبو عبد الرحمن، حقائق التفسير، ج1، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، 2001، ص 164.
- ⁹ حقي إسماعيل، روح البيان في تفسير القرآن، ط4، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018، ص 116.
- ¹⁰ التوحيدي أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، ج1، بيروت، لبنان، منشورات مكتبة الحياة، دت، ص 157.
- ¹¹ هيفرو محمد علي ديركي، مختصر اصطلاحات الصوفية، ط1، دار التكوين، دمشق، 2008، ص9.
- ¹² المرجع نفسه، ص21.
- ¹³ الحفني عبد المنعم، معجم اصطلاحات الصوفية، ص 35.
- ¹⁴ هيفرو محمد علي ديركي، مختصر اصطلاحات الصوفية، ص131.

قائمة المراجع:

- (1) ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة: (ج ه د)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، دت.
- (2) التوحيدي أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، ج1، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دت.
- (3) الحفني عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1987.
- (4) حقي إسماعيل، روح البيان في تفسير القرآن، ط4، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018.
- (5) الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بيروت، 1982.
- (6) السامرائي إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1981.
- (7) السلمي أبو عبد الرحمن، حقائق التفسير، ج1، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، 2001.
- (8) المسدي عبد السلام، قاموس اللسانيات، تونس، الدار العربية للكتاب، 1984.
- (9) هيفرو محمد علي ديركي، مختصر اصطلاحات الصوفية، ط1، دمشق، دار التكوين.

المجلات:

- 1) حجازي محمود فهمي ، الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 40، 1977.
- 2) رشيد عمران، خصائص الرمز الصوفي:ابن عربي أنموذجا، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية، العدد 24، الجزائر، 2018.